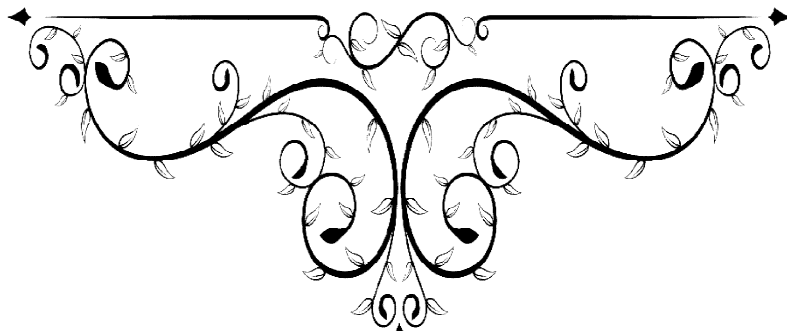


الفصل الأول



العلاقات الروسية-السورية:
تقاطعات الجغرافيا والسياسة

تمهيد:

تعتبر العلاقات بين الدول من أهم المحركات لتبادل الخبرات في مختلف المجالات، سواء منها السياسية أو الاقتصادية وغيرها كما أنها توطد الروابط بين الشعوب وتعزز الثقة المتبادلة بين الأطراف الدولية، حيث تعتبر العلاقات الروسية-السورية التي مرت بمراحل عديدة ومتطورة وضعت الأساس لبناء علاقات متينة بين البلدين.

المبحث الأول: سوريا في محيطها الجغرافي: الموقع والأهمية

يلعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في تحديد مستقبل الدولة، وذلك من خلال تمركزها وطبيعة العلاقات التي تجمعها مع دول حدودها، حيث تعتبر سوريا ذات أهمية كبيرة في الشرق الأوسط وحتى لدى القوى العالمية الكبرى نظرا للموقع والأهمية الذي تحتله، والوزن الإقليمي الذي تتميز به في المنطقة.

المطلب الأول: جغرافية سوريا: إحصاءات ودلالات

1- الموقع: تقع الجمهورية السورية في الجزء الغربي لقارة آسيا شرق البحر الأبيض المتوسط، ويحدها لبنان وفلسطين والبحر المتوسط غربا، الأردن جنوبا، تركيا شمالا والعراق شرقا.

حدودها الكلية 2413 كلم، منها 596 كلم من العراق، 74 كلم مع فلسطين المحتلة، و356 كلم مع الأردن، و359 كلم مع لبنان، و845 كلم مع تركيا بالإضافة إلى طول الشريط الساحلي 183 كلم.

1- المساحة: الإجمالية للجمهورية العربية السورية 185180 كلم² ومساحة الأرض 184050 كلم².

2- المناخ: حار وجاف صيفا في معظم مناطق البلاد، في المناطق الساحلية، رطب معتدل في المرتفعات، أما شتاءً فبارد وماطر مع تساقط الثلوج في بعض المرتفعات.

3- الطبوغرافيا: قرب الشاطئ توجد سهول وفي الغرب جبال، أما في الداخل فمناطق صحراوية.

4- الموارد الطبيعية: زيت خام، فوسفات، كروم، ومنغنيز خام، وأسفلت، ومعادن خام، صخور ملحية، رخام، وحصي، النفط².

5- الحدود السورية العراقية: وضعت أسس الحدود السورية العراقية بادئ ذي بدء في اتفاق سان ريمو، ورسمت حسب الاتفاق المعروف باتفاق ليشمان بين بيرسي كوكس وفيصل، وكانت تسير من مصب خابور الدجلة مسائرة لنهر دجلة حتى شمال سنجار، تم ترسيم الحدود خطا مستقيما ذا اتجاه جنوبي غربي ينصف جبل سنجار وينتهي عند البوكمال، والمقسم

¹ - إبراهيم محمد سعيد، الجيوبوليتيك السوري والقوة الجغرافية والسياسية السورية، الطبعة الأولى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2016، دمشق، ص ص 31-32.

² - كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، الطبعة الأولى، دار الجيل، 1998، بيروت، ص ص 299-300.

الأخير من الحدود وهو الذي تغير فيما بعد لصالح العراق، ولقد اقر خط الحدود السورية-العراقية الحالي عام 1932م.

6- الحدود السورية الأردنية: هي الحدود الوحيدة التي بقيت بعدما رسمتها معاهدة سان ريمو، وثبتت في البروتوكول الحدود الموقع في 31 أكتوبر 1931م وتمتد عبر البادية من التنف شرقاً إلى الحمة بطول 365 كلم.

7- الحدود السورية الفلسطينية: انبثقت اتفاقية 23 ديسمبر 1920م، التي عقدت بين فرنسا، وانجلترا والتي أصبحت بموجبها منطقة الحوكو والجليل الأعلى ضمن فلسطين وتغير خط الحدود، وأصبح يسير بشكل خط مستقيم ذي اتجاه شمالي-جنوبي يخترق بحيرة طبريا في منتصفها حتى سمخ التي اتفق على أن تكون محطة مشتركة للطرفين، وفي 4/6/1967م عندما احتل الصهاينة منطقة الجولان تنفيذا للمخطط التوسعي-الاستعماري الذي رسم لاحتلال أجزاء من الوطن العربي، ولا زال محتلاً باستثناء جيوب صغيرة أعيدت لسوريا بعد الحرب عام 1973م¹.

8- الحدود السورية اللبنانية: تبدأ الحدود السورية اللبنانية من ضفة الحاصباني وترتقي جبال حرمون ثم تقطع وادي البقاع إلى سهل عكار عند قرية العريضة شمال طرابلس، ويبلغ طول هذه الحدود 359 كلم.

9- الحدود السورية التركية: تغيرت هذه الحدود لصالح تركيا بدءاً من عام 1920م ثم عام 1921م، وأخيراً عام 1934م حيث سلخ لواء الاسكندرون، وهي مدينة في شمال غرب لواء اسكندرون، تقع في رأس خليج اسكندرون على البحر المتوسط وهي أهم الموانئ في تركيا اليوم².

10- السكان: بلغ عدد سكان الجمهورية العربية السورية 16728000 نسمة وتقدر الكثافة السكانية 90 نسمة/كلم²، عدد السكان بأهم المدن: دمشق 2041000 نسمة، حلب 1590000 نسمة³.

¹ - مالكي مريم، السياسة الخارجية الروسية اتجاه الأزمة السورية 2011-2014، مذكرة ماستر، جامعة الجليلي بونعامه خميس مليانة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014-2015، ص ص44-45.

² - نفس المرجع، ص ص45-46.

³ - نفس المرجع، ص 47.

11- الموقع الفلكي: نجد سوريا تشغل الزاوية الشمالية الغربية من الوطن العربي بين درجتي عرض 19 32° و 20 37° شمال خط الاستواء وخطي الطول 37 35° و 23 42° شرق غرينتش، وتطل على البحر المتوسط من الجهة الشرقية ممثلة بوابة رئيسية لآسيا الغربية¹.

المطلب الثاني: الأهمية الجيو-بوليتيكية لسوريا إقليمياً

إن أهمية سوريا تكمن في موقعها الجيو-استراتيجي الذي يشكل عقدة الاتصال للعالم القديم والحديث ومفتقراً للطرق التجارية واصلها الشرق بالغرب، فسوريا المتميزة بوحدتها الجغرافية -الزراعية-الاقتصادية تمتاز أيضاً بموقعها الاستراتيجي الذي تطل منه على أهم البحار والذي يشكل نقطة الالتقاء والربط بين آسيا وإفريقيا وأوروبا.

هذا الموقع الاستراتيجي الحضاري الذي جرت عليه أهم حضارات التاريخ القديم، وانطلقت منه مشاعل الحضارة الإنسانية التي أطلقها السوريون شرقاً، إلى إيران والهند والصين وآسيا وغرباً إلى الشمال الإفريقي والإغريق والرومان وأوروبا، هذا الموقع الذي يمثل بموارده الطبيعية خزاناً غذائياً ممتازاً. وعبر هنري بولور عن ذلك سنة 1860م بالقول: "إن سوريا كانت دائماً تعد لدى أولئك الذين أنشئوا إمبراطوريتهم في الشرق، المرتكز الخاص الذي يبنون عليه أي تخطيط عند الفتوحات الشرقية، فهي في الواقع حلقة اتصال بين إفريقيا من جهة وآسيا من جهة أخرى"².

أ- السياسة الخارجية:

على مدار عقود شكلت أهم مصادر الشرعية للنظام السياسي الذي ارتكز في هذا المجال، إلى ما يسمى الشرعية الثورية، نتيجة سيادة نمط الانقلابات العسكرية، ومن خلال صوغ أنماط سياسية تميزت بمحاكاتها للمزاج الشعبي، خصوصاً لجهة معاداة الغرب والتشدد اللفظي تجاه إسرائيل، غير ذلك لم يمنع أيضاً من توظيف هذه السياسة لخدمة هدف تقوية النظام في بيئة الإقليمية والدولية.

ومن جهة أخرى شكلت الخصائص الجيوسياسية لسوريا دوراً مركزياً في الصراع العربي الإسرائيلي خصوصاً بعد خروج مصر من معادلة الصراع بعد توقيعها لمعاهدة كامب ديفيد مع

¹ - عبد الرؤوف رهبان، "الأهمية الاقتصادية للتجارة الخارجية السورية والعوامل المؤثرة فيها"، مجلة جامعة دمشق، العدد 3 و4 (المجلد 29)، 2013، ص 517.

² - ندوة فكرية بعنوان: "الصراع في سورية وأبعاده الإستراتيجية"، 2013/04/15، تاريخ الاطلاع: 2017/03/29.
<http://www.ssnp.info/index.php?article=84292>

إسرائيل، إضافة إلى محاذاتها لتركيا التي بها أهم قاعدة عسكرية لحلف الشمال الأطلسي "القاعدة الأمريكية المهمة"¹.

ب- دور سوريا الإقليمي:

إن الجغرافيا، تعتبر الورقة الراحلة لسوريا فتوسطها لمفترق طرق في الشرق الأوسط بدولتين أكبر هما تركيا والعراق، ودولتين أصغرهما لبنان والأردن بحدود برية مشتركة. حيث تعتبر هذه الدول جملة من الأسواق الواعدة للتجارة والاستثمار، حيث يمكنها خلق منطقة اقتصادية، نشيطة إذا ما تجسدت هذه الفكرة على أرض الواقع فيتحسن بذلك دخل الفرد ويخلق وظائف جديدة ويطور التكنولوجيا، ومن جهة أخرى تعتبر هذه المنطقة في الوقت نفسه بؤرة للانفجار، لوجود القضية الفلسطينية، والكيان الإسرائيلي، ناهيك عن عوامل الصراع الأخرى النابعة من المكونات الإثنية والطائفية التي تشكل العنصر الأساسي للمنطقة، التي من شأن إثارتها وإشعالها تهديد أمن واستقرار المنطقة برمتها².

¹ - مالكي مريم، مرجع سابق، ص 49.

² - غازي دحمان، السياسة الخارجية السورية إستثمار في الجغرافيا، الجزيرة نت، 2010/07/29، الإطلاع: 2017/05/01.
<http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/d6a50aed-d9e9-4374-a80c-b51c2397f284>

المبحث الثاني: العلاقات الروسية السورية تاريخ طويل من التنسيق.

تعتبر العلاقات الروسية _السورية قديمة حيث ربطت الدولتين علاقات تميزت بالهدوء والتفاهم تارة وبالفطور والبرود تارة أخرى هذه العلاقة مهدت إلى تشكل تحالف بين البلدين أساسه المصلحة المتبادلة بين الطرفين حيث شملت هذه العلاقة عدة مجالات إستراتيجية تمثلت في الجانب الطاقوي والتبادل التجاري، الشراكة العسكرية وصفقات التسليح، وتوطيد العلاقات السياسية المتميزة بين الطرفين

المطلب الأول: التعاون الاقتصادي

في نفس الوقت الذي ركزت فيه روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي على علاقاتها مع الجمهوريات السوفيتية السابقة، استمرت في الحفاظ على علاقاتها ومصالحها مع الدول العربية والإسلامية ذات الثقل في الشرق الأوسط، وكان من أهم الانشغالات ذات الأولوية في الإستراتيجية الروسية الوصول إلى منفذ إستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط، لأن هذا المنفذ يفتح الطريق إلى المحيط العالمي فهو يؤمن حماية الامتداد الجغرافي الجنوبي الروسي، لا سيما أنّ لروسيا رؤية وفهم للاستراتيجيات الغربية في محاولة تطويقها بشكل مباشر أو عبر حلفاء الولايات المتحدة.

ومن بين جميع الدول العربية تمثل سوريا الدول الأكثر استقلالاً تجاه العالم الغربي، بالمقابل كان لها علاقات قوية وذات طابع سياسي وإستراتيجي مع موسكو، حيث أطلقت الشركة الروسية "سترويوترنسفاز" في نوفمبر من العام 2009 مشروعاً كبيراً في سوريا كان عبارة عن مصنع قرب مدينة حمص واعتبار هذا المشروع في حينه الأكبر منذ العهد السوفيتي، فكان على هذا المصنع توفير 50% من الطلب السوري على الغاز من أجل الصناعة الكهربائية السورية¹.

¹ - الشراكة العسكرية /الاستراتيجية الروسية السورية، 2014/11/11. لاطلاع: 2017/03/13

إن سوريا تعتبر أهم شريك عربي لروسيا، بنسبة 20% من إجمالي حجم التبادل التجاري بين المنطقة العربية وروسيا وهي في تزايد مستمر، وقد ارتفعت التجارة الروسية-السورية إلى 1.92 مليار دولار عام 2011 أي بنسبة زيادة تقدر بـ 58% عن عام 2010، من ناحية أخرى تصل الاستثمارات الروسية في سوريا إلى حوالي 20 مليار دولار، إذ يعتبر المجال الطاقوي أبرز الاستثمارات حيث تعد الشركات الروسية من أبرز الشركات العاملة في سوريا¹. لقد كان للاقتصاد نصيب مهم في العلاقات الروسية السورية، ذلك أنّ الاتحاد السوفيتي سابقا نفذ ما يزيد عن 63 مشروعا ما بين الستينات وبداية التسعينات من القرن الماضي في سوريا، ومن أهم المشاريع سد الفرات والذي أقامته سوريا بموجب قرض من الاتحاد السوفيتي بمبلغ 120 مليون روبل في عام 1966²، ويعتبر هذا السد من أهم المشاريع المائية الكهربائية، كما أقيم في سوريا مجموعة كبيرة من المصانع المختلفة لإنتاج مختلف أنواع المنتجات كالحديد الصلب والألمنيوم، والموارد الغذائية وغيرها من الصناعات، كما أنه وقع الطرفين اتفاقية تعاون اقتصادي في عام 1972، فقد قدمت موسكو الملايين لتمويل مشاريع النفط، كما أدى التعاون إلى إنشاء خطوط سكك حديدية يبلغ طولها ما يزيد عن 1.5 ألف كلم، حيث ربطت السكك مناطق الإنتاج الزراعي والموانئ السورية في الغرب، كما أنّ التبادل التجاري قوي جدا بين الطرفين³.

حيث ينظم العلاقات التجارية عدد من الاتفاقيات والبروتوكولات التجارية، مثل اتفاق 1993 الموقع في دمشق بين الحكومتين، والذي ينص على التعاون التجاري والاقتصادي والفني، والذي نص أيضا على تسهيل وتشجيع المبادلات التجارية ما بين الطرفين وتنمية التعاون الاقتصادي في كافة المجالات التجارية، بالإضافة إلى توقيع اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي عام 2000م، والتي أتاحت تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين على صعيد القطاعين، العام والخاص، بالإضافة إلى توقيع اتفاق بنفس العام بين اتحاد غرف التجارة السورية وغرفة التجارة والصناعة في روسيا والتي أسهمت بدورها في تنمية وتوسيع علاقات العمل التجارية والاقتصادية بين رجال الأعمال في البلدين، وغيرها الكثير من الاتفاقيات والتي تنظم العلاقة التجارية والاقتصادية والتي بموجبها تزود روسيا سوريا

¹ - وليد عبد الحي، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2012/4/3، ص2

² - دمشق وموسكو...علاقات تاريخية غيرت ملامح العالم، الثورة، يومية سياسية، 2015/10/2. الاطلاع: 2017/03/13
http://thawra.sy/_archive.asp?FileName=70540434920151001224442

³ - العلاقات الاقتصادية السورية الروسية .. في تنامي مطرد، الاطلاع: 2017/03/13.
<http://emediatec.com/PublicFiles/File.الاعلاقات%20السورية%20الروسية.pdf>

بالمنتجات النفطية والمواد الكيماوية والمعادن والخشب والأنابيب وغيرها، كما أنّ سوريا تصدر لروسيا المنتجات الغذائية وصناعات خفيفة وغيرها، كما أنّ هناك تعاون نفطيين الطرفين، ليس في التبادل فحسب، بل هناك شركات روسية تنقب عن النفط في سوريا¹. أشار الرئيس ميدفيرف بعد زيارة قام بها إلى سوريا، إلى "أنّه دون النظر إلى الأزمة فإنّ علاقتنا التجارية الاقتصادية في حالة صعود" وتناولت المباحثات التي جرت بينه وبين نظيره بشار الأسد مسائل تنفيذ بعض المشاريع في مجالات النفط والغاز والنقل والطاقة الكهربائية والطاقة الذرية، كما ناقش الرئيسان اتفاق التعاون في مجالات تكنولوجيا المعلوماتية والفضاء والسياحة والتكنولوجيا المتقدمة².

المطلب الثاني: التعاون السياسي

عند استقلال سوريا وإبلاغ القيادة السورية في 5 جويلية 1944م ممثلي الدول المعتمدة في دمشق استلامها بشكل نهائي لجميع الصلاحيات التي كانت تقوم بها فرنسا، كان الاتحاد السوفيتي من أوائل الدول التي اعترفت بهذا الاستقلال وقد أعلنت الحكومة السوفيتية عند اعترافها بالاستقلال أنها ترفض تفوق أي دولة أوروبية في سوريا³.

أمام هذه التطورات أوعزت الحكومة السورية إلى وزير خارجيتها بأن يبعث برسالة إلى وزير خارجية الاتحاد السوفيتي في 21 جويلية 1944م يقترح فيها إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين وأوعزا الوزير السوري هذا القرار إلى: (الإعجاب بالشعب السوفيتي الذي يقدم جهوده وانتصاراته في النضال العظيم للديمقراطية ضد روح الغزو والسيطرة أساسا للأمل الراسخ في الحرية والمساواة في المستقبل لجميع الأمم صغيرها وكبيرها)⁴.

وكان عام 1956 نقطة التحول الحقيقي في السياسة السورية اتجاه السوفيتي حيث بدأ السوفييات في توسيع العلاقات والاتصالات ومساعدة سوريا اقتصاديا وفنيا وفي نوفمبر 1955م رفعت درجة التمثيل الدبلوماسي بينهما إلى درجة سفارة كبادرة لتعزيز العلاقات الودية وتطويرها⁵.

¹ - عامر عبد الفتاح أحمد عبد الغفار، السياسة الخارجية الروسية تجاه ليبيا وسوريا وأثرها على التحولات والتنمية السياسية في البلدين منذ عام 2011-2014، مذكرة مقدمة الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2015، ص 102.

² - ممدوح عبد المنعم، روسيا تنادي بحق العودة على القمة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2013، ص 466.

³ - أديب صالح اللهيبي، العلاقات السورية-السوفيتية 1946-1967، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2012، ص 25.

⁴ - نفس المرجع، ص 26.

⁵ - عمار ياسر حمو، روسيا والثورة السورية من دعم القاتل إلى شريك في القتال، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016، ص 9.

بل وسعى الاتحاد السوفيتي إلى إدراج سوريا في قائمة الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، على الرغم من معارضة الدول الغربية لهذا السعي، واستمرت العلاقات ما بين الدولتين بالتطور، بحيث زادت هذه العلاقة اتساعاً ومتانة بعد وصول حافظ الأسد للسلطة في سوريا عام 1970م، كما ساعد في ذلك التطور عامل مهم جداً وهو حادثة طرد السوفييات من مصر في السبعينات من القرن الماضي، إبان حكم الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، حيث أنّ هذه الحادثة دفعت القادة السوفييات إلى ترسيخ علاقتها بدول أخرى في المنطقة التي تبدي ثباتاً في العلاقات الاستراتيجية معها، وقد كانت كل من سوريا والعراق أقوى الدول المطروحة في المنطقة العربية، حيث كانتا تحت حكم البعث مما أدى إلى تدفق دعم سوفيتي كبير لسوريا في المحافل الدولية¹.

استمرت العلاقات المتميزة بين الطرفين طيلة فترة وجود الاتحاد السوفيتي في الساحة الدولية، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينات، وتغير القيادة في الكرملين، دخلت روسيا دوامة من الأزمات حيث تميزت هذه الفترة ببرود عام في العلاقات ما بين سوريا وروسيا، واستمرت الحال إلى بداية القرن الحالي. بعد تغير القيادة الروسية، وانتخاب فلاديمير بوتين رئيساً جديداً لروسيا الاتحادية عام 2000، كانت في هذه الفترة السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه المنطقة العربية وشرق أوروبا بمثابة جدار جيوسياسي لروسيا، لذا توجب على روسيا أن تحدث ثغرة في هذا الجدار الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية، فاخترت القيادة الروسية أن تكون هذه الثغرة هي سوريا، بحكم التاريخ المشترك بين الطرفين، بالإضافة إلى أنها الدولة العربية الوحيدة التي تجاهر بمعاداتها للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وحينها صرح بوتين تصريحه الشهير "روسيا أظهرت الكثير من نقاط الضعف، وأنّ الوقت قد حان لإظهار نقاط القوة" الأمر الذي يشير أن روسيا بدأت تلم شملها، وتنظر نحو مصالحها الاستراتيجية خاصة في مجالها الحيوي في شرق أوروبا والمنطقة العربية الإسلامية².

وفي أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001، سارع بوتين لتقديم التعازي لواشنطن ودعم حرمها على الإرهاب، لكن لاحقاً عارضت كل من روسيا وسوريا حرب العراق، نظراً للتهديد الذي تشكله على مصالح واستقرار البلدين وقادتهما، حيث كان يخشيان أنّ الحرب على صدام قد يتبعها حروب مشابهة تستهدفهم تماشياً مع حملة تعزيز الديمقراطية حينها. ومع استمرار

¹ - عامر عبد الفتاح أحمد عبد الغفار، مرجع سابق، ص 96.

² - لى مضر الامارة، "الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 362، أبريل 2009، ص ص 378-379.

القتال في العراق، سمحت سوريا للمقاتلين السنة متطرفين في جميع أنحاء المنطقة بالعبور إلى العراق عبر الأراضي السورية، وبينما قامت سوريا بدعم المتمردين ضد الولايات المتحدة الأمريكية، قامت روسيا من جهة آخر بتسليط الضوء على الإسلام الراديكالي، عبر كيل الكريملين بمكيالين: القمع في روسيا، والدعم في الخارج ما دام الأمر مناسباً لموسكو وتطلعاتها¹. وتأسّلت العلاقات بين روسيا وسوريا بعد زيارة بشار الأسد روسيا في عامي 2005-2006 وقد نتج عن هذه الزيارات، اتفاقيات سياسية واقتصادية، حرص خلالها الطرفان على التنسيق المشترك فيما يخص المسائل الدولية، وتجسد ذلك في توقيع وثيقة الإعلان المشترك عام 2005 حول مواصلة تعميق العلاقات الصداقة والتعاون، وكما أنّ الزيارة التي قام بها الرئيس بشار الأسد إلى روسيا عام 2008 شكلت دافعا مهماً بالعلاقات بين الطرفين نحو الأفضل، حيث شهدت هذه الزيارة توقيع معاهدات هامة وصفقات سلاح لسوريا، وكان واضحا الحرص من الطرفين، على تطوير العلاقات الثنائية بشتى المجالات كما زار الرئيس الروسي السابق ديمتري ميدفيدف سوريا عام 2010م، وسعت هذه الزيارة إلى رفع التعاون الاستراتيجي بين البلدين والتنسيق المشترك، بالإضافة إلى أن سوريا أيضا دعمت الموقف الروسي في كثير من القضايا، لعل أبرزها تأييدها بشكل كبير للعملية العسكرية الروسية في جورجيا عام 2008م².

المطلب الثالث: التعاون العسكري

لقد بدأت العلاقات العسكرية السوفيتية السورية في شهر مارس من عام 1955م عندما عرضت موسكو تزويد سوريا بمساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة دعماً لدمشق من أجل رفضها الانضمام لحلف بغداد الذي تم تشكيله تحت رعاية بريطانية وأمريكية، وفي أثناء حرب جوان عام 1967م، كان للتهديد الروسي بالتدخل المباشر دورا كبيرا في وقف التقدير الإسرائيلي على الجبهتين المصرية والسورية، وعلى إثر هزيمة حرب 1967م ازدادت المساعدات السوفيتية لسوريا بشكل أكبر من السابق وذلك دفع الاتحاد السوفيتي إلى تقوية حضورها العسكري في سوريا.

وأدى وصول حافظ الأسد إلى السلطة بعد انقلابه على صلاح جديد، إلى تعزيز العلاقات السياسية والعسكرية مع موسكو، وقد ساهم في تعزيز هذه العلاقات سحب روسيا المفاجئ

¹ - أنابور شيفكايا، روسيا في الشرق الأوسط الدوافع-الآثار-الآمال، دراسة صادرة عن معهد واشنطن، فيفري 2016، مراجعة وترجمة: مركز إدراك للدراسات والاستشارات، مارس 2016، ص ص 35-36.

² - عامر عبد الفتاح أحمد عبد الغفار، مرجع سابق، ص 100.

لخبرائها العسكريين من مصر في 1972م وتركز اهتمامها على سوريا، حيث تدفقت الأسلحة السوفيتية بشكل كبير إلى سوريا قبيل حرب 1973م ولم يقف الدعم السوفيتي إلى هذا الحد فحسب، بل أشرف المستشارون العسكريون السوفييات أثناء الحرب على أنشطة المواقع القيادية السورية، أما المشاركة السوفيتية الأكثر أهمية فقد كانت في أواخر أكتوبر من عام 1973م، وذلك من خلال الجسر الجوي والبحري الذي نقل ما يقارب 4000 طن من المعدات العسكرية لإعادة تسليح مصر وسوريا¹.

لقد درس ما يقرب من 50 ألف طالب سوري في أعلى المعاهد والمدارس الروسية، كجامعة موسكو الحكومية وجامعة صداقة الشعوب، وخمس هؤلاء الطلاب تحديدا درسوا العلوم العسكرية في الأكاديميات العسكرية الروسية المختلفة. وخلال هذه الفترة زودت موسكو دمشق بمعدات عسكرية تصل قيمتها إلى 26 مليار دولار، ساهم الاتحاد السوفيتي في بناء الأسلحة الكيماوية السورية، في المقابل انتقل العديد من الروس إلى سوريا خلال الحرب الباردة، ووقعت حالات كثيرة من التزاوج المختلط بين الشعبين².

غير أنّ العلاقات بين البلدين شهدت نوعا من الفتور في مطلع التسعينيات، إلا أنّه بقي في سوريا عدد من المستشارين العسكريين الذين يمثلون روسيا الاتحادية³. تم تعزيز العلاقات بين الجانبين بشكل أكبر في عام 1996م، حينما بدأ يفغيني بريماكوف، من منصبه كمدير للاستخبارات الخارجية الروسية، جهوده لاستعادة النفوذ الروسي في الشرق الأوسط، كانت روسيا ترغب في بيع الأسلحة إلى سوريا، وظن قادتها أنّه بمقدور رئيسها حافظ الأسد المساعدة في استعادة التوازن مع واشنطن وإسرائيل في المنطقة.

وفي ماي 1999م وقعت روسيا وسوريا اتفاقية لـ "التعاون السلمي في مجالات الطاقة النووية" وبمدة تصل إلى 10 سنوات، وفي جويلية من ذلك العام، قام الأسد بزيارة رسمية إلى موسكو بهدف تعزيز الروابط والصلات مع الجانب الروسي⁴.

كما أنّ الدعم الروسي قد عاد منذ تولي الرئيس بوتين الحكم وأعيد افتتاح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس بعد اغلاقها وتوقفها عن العمل في التسعينات، في عام 2005م، وأثناء زيارة الرئيس السوري بشار الأسد لروسيا، شطبت روسيا ما نسبته 73%

¹ صلاح نيوف، الشراكة العسكرية الاستراتيجية الروسية-سوريا، المركز الكردي للدراسات، 2014/11/11، الاطلاع: 2017/03/14
http://www.nlka.net/index.php/2014-07-10-22-08-10/140-2014-11-11-18-46-06

² - أنابورشيفكايا، مرجع سابق، ص 35.

³ - عامر عبد الفتاح أحمد عبد الغفار، مرجع سابق، ص 101.

⁴ - أنابورشيفكايا، مرجع سابق، ص 35.

من ديون الذي تراكمت على سوريا منذ عهد حكم الاتحاد السوفيتي، نتيجة إمداد الاتحاد السوفيتي لسوريا بكميات كبيرة من الأسلحة، وتم هذا الشطب من أجل إحياء العلاقة العسكرية ما بين الطرفين، وكانت روسيا تسعى لتحقيق أهداف استراتيجية من وراء إعادة بعث هذه الشراكة العسكرية بينها وبين سوريا، بالإضافة إلى توقيع العديد من صفقات الأسلحة ما بين الطرفين، كان من أبرزها الصفقات الكبيرة عام 2008، حيث قدمت روسيا العتاد الجديد للجيش السوري بالإضافة إلى تقديم الخبراء العسكريين لسوريا من أجل الدعم والاستشارة وتعزيز التعاون المشترك¹. ووفقاً لمعهد "ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام" شكلت روسيا 78% من مشتريات سوريا من الأسلحة بين عامي 2007-2012م. كما وصلت مبيعات الأسلحة الروسية إلى سوريا ما بين عامي 2007-2010م إلى 7.4 مليار دولار².

¹ - عامر عبد الفتاح أحمد عبد الغفار، مرجع سابق، ص 101.

² - أحمد دياب، "حلفاء روسيا... وورث بريجنيف"، مجلة المجلة، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، العدد 1588، أكتوبر 2013، ص